بسم الله الرحمن الرحيم

اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه والتابعين

في رحاب ذكرى مولد الرسول الأعظم
سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم

مقدمـة

« وإنّك لعلى خلق عظيم »

إنه الثناء الفريد على النبي الكريم، إنه ثناء الله جل علاه على نبيه الرؤوف الرحيم بقوله ﴿**وإنك لعلى خلق عظيم**﴾(القلم/4)، ويثبت هذا الثناء العلوي في صميم الوجود.. وهي شهادة من الله في ميزان الله لعبد الله، ومدلول الخلق العظيم هو ما هو عند الله مما لا يبلغ إلى إدراك مداه أحد من العالمين ودلالة هذه الكلمة العظيمة على عظمة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم تبرز من نواحي شتى:

تبرز من كونها كلمة من الله الكبير المتعال، يسجلها ضمير الكون، وتثبت في كيانه، وتتردد في الملأ الأعلى إلى ما شاء الله. وتبرز من جانب آخر من جانب إطاقة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم لتلقيها. وهو يعلم من ربه هذا، قائل هذه الكلمة. إن إطاقة سيدنا محمد الرسول الكريم عليه الصلاة والتسليم، لتلقى هذه الكلمة من هذا المصدر الرباني، وهو ثابت حين يتلقاها من ربه مطمئن، لا تتأرجح شخصيته الزكية تحت وقعها ولا تضطرب، هو ذاته دليل على عظمة شخصيته فوق كل دليل.

ولقد رويت عن عظمة خلقه في السيرة، وعلى لسان أصحابه روايات منوعة كثيرة. وكان واقع سيرته أعظم شهادة من كل ما روي عنه. ولكن هذه الكلمة أعظم بدلالتها من كل شيء آخر، أعظم بصدورها عن العلى الكبير، وأعظم بتلقي سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم لها وهو يعلم من هو العلي الكبير، وبقائه بعدها ثابتا راسخا مطمئنا، لا يتكبر على العباد ولا ينتفخ ولا يتعاظم وهو الذي سمع ما سمع من العلي الكبير.. وهو الذي يدعو ويلح ويقول: " اللهم أحيني مسكينا وأمتني مسكين

واحشرني في زمرة المساكين" مع أنه أوتي مفاتيح الدنيا والآخرة وأعطي ما لم يُعط أحد من المرسلين. والله أعلم حيث يجعل رسالاته وما كان إلا سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم بعظمة نفسه هذه من يحمل هذه الرسالة الأخيرة بكل عظمتها الكونية الكبرى، فيكون كفئا لها كما يكون صورة حية منها.

إن هذه الرسالة من الكمال والجمال، والعظمة والشمول، والصدق والحق، بحيث لا يحملها إلا الرجل الذي يثني عليه الله هذا الثناء، فتطيق شخصيته كذلك هذا الثناء في تماسك وتوازن وطمأنينة. طمأنينة القلب الكبير الذي يسع حقيقة تلك الرسالة وحقيقة هذا الثناء العظيم ثم يتلقى بعد ذلك عتاب ربه له ومؤاخذته إياه على بعض تصرفاته، بذات التماسك وذات التوازن وذات الطمأنينة ويعلن هذه كما يعلن تلك، لا يكتم من هذه شيئا ولا تلك وهو هو في كلتا الحالتين النبي الكريم، والعبد الطائع والمبلغ الأمين.

إن حقيقة هذه النفس من حقيقة هذه الرسالة وإن عظمة هذه النفس من عظمة هذه الرسالة، وإن الحقيقة المحمدية كالحقيقة الإسلامية لأبعد من مدى أي مجهر يملكه بشر وقصارى ما يملكه راصد لعظمة هذه الحقيقة المزدوجة أن يراها ولا يحدد مداها، وأن يشير إلى مسارها الكوني دون أن يحدد هذا المسار.

إنه سيدنا محمد وحده هو الذي يرقى إلى هذا الأفق من العظمة.. إنه سيدنا محمد وحده، هو الذي يبلغ قمة الكمال الإنساني المجانس لنفخة الله في الكيان الإنساني. إنه سيدنا محمد وحده هو الذي يكافئ هذه الرسالة الكونية العالمية الإنسانية، حتى تتمثل في شخصه حية، تمشي على الأرض في أهاب إنسان.. إنه سيدنا محمد وحده الذي علم الله منه أنه أهل لهذا المقام. والله أعلم حيث يجعل رسالاته وأعلن في هذه أنه على خلق عظيم وأعلن في الأخرى أنه جل شأنه وتقدست ذاته وصفاته، يصلي عليه هو وملائكته "إن الله وملائكته يصلون على النبي " وهو جلّ شأنه وحده القادر على أن يهب عبدا من عباده ذلك الفضل العظيم.

في رحاب ذكرى مولد الرسول الأعظم سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم

***نسبه لإسماعيل الذبيح عليه السلام**

هو سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، خير أهل الأرض نسبا على الإطلاق. فلنسبه من الشرف أعلى ذروة وأعداؤه كانوا يشهدون له بذلك، ولهذا شهد له به عدوه إذ ذاك أبو سفيان بين يدي ملك الروم. فأشرف القوم قومه وأشرف القبائل قبيلته، وأشرف الأفخاذ فخذه. فقد اختاره سبحانه وتعالى من أزكى القبائل وأفضل البطون وأطهر الأصلاب. فما تسلل شيء من أدران الجاهلية إلى شيء من نسبه وقد أشار صلوات الله وسلامه عليه إلى ذلك بقوله: "إن الله اصطفى من ولد إبراهيم إسماعيل واصطفى من إسماعيل كنانة، واصطفى من كنانة قريش، واصطفى من قريش بني هاشم واصطفاني من بني هاشم. فأنا خيار من خيار من خيار". وقال في رواية لمسلم بسنده: " إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل واصطفى قريشا من كنانة واصطفى هاشما من قريش واصطفاني من بني هاشم".

وفي رواية للترمذي أن الرسول صلى الله عليه وسلم قام يوما على المنبر فقال: " من أنا؟ فقالوا: " أنت رسول الله عليك السلام ". فقال: " أنا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب، إن الله خلق الخلق ثم جعلهم فرقتين فجعلني في خيرهم فرقة ثم جعلهم قبائل فجعلني في خيرهم قبيلة، ثم جعلهم بيوتا فجعلني في خيرهم بيتا، وخيرهم نفسا ".

ومن مآثر العرب اهتمامهم بحفظ الأنساب. فقد كانوا يتفاخرون بأمجاد الأجداد فهو سيدنا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي ابن كلاب، بن مرة بن كعب، بن لؤي، بن غالب، بن فهر، بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة، بن مدركة بن إلياس، بن مضر، بن نزار، بن معد بن عدنان، إلى هاهنا متفق عليه بين النسابين ولا خلاف فيه البتة. وما فوق عدنان مختلف فيه، ولا خلاف بينهم أن عدنان من ولد إسماعيل بن إبراهيم الخليل عليهما السلام، وإسماعيل هو الذبيح على القول الصواب عند علماء الصحابة والتابعين خلافا لليهود والنصارى الذين يزعمون أن الذبيح هو إسحاق، فهذا القول باطل بالإجماع فاليهود حسدوا بني إسماعيل على هذا الشرف وأحبوا أن يكون لهم وأن يسوقوه إليهم ويحتازوه لأنفسهم دون العرب، ويأبى الله إلا أن يجعل فضله لأهله.

ويَردُّ الإمام ابن تيمية رحمه الله على هذه الأباطيل بقوله: " وكيف يسوغ أن يقال إن الذبيح إسحاق؟ والله تعالى قد بشّر أم إسحاق به وبابنه يعقوب فقال تعالى عن الملائكة إنهم قالوا لإبراهيم لما أتوه بالبشرى: ﴿ **لا تخف إنا أرسلنا إلى قوم لوط وامرأته قائمة فضحكت فبشرناها بإسحاق**

ومن وراء إسحاق يعقوب﴾ (هود/70-71). فمحال أن يبشرها الحق سبحانه بأنه يكون لها ولد ويكون لهذا الولد نسل طيب ثم يأمر بذبحه... وكانت السيدة سارة رضي الله عنها زوج سيدنا إبراهيم الخليل عليه السلام، عقيما لم تلد وقد أصبحت عجوزا.. ففاجأتها البشرى بإسحاق وهي بشرى مضاعفة بأن سيكون لإسحاق عقب من بعده وهو يعقوب عليه السلام، ولا عجب من أمر الله تعالى. فالعادة حين تجري بأمر، لا يكون معنى أنها سنة لا تتبدل وعندما يشاء الله لحكمة يريدها وهي هنا رحمته سبحانه بأهل هذا البيت المبارك، وبركاته الموعودة للمؤمنين فيه، يقع ما يخالف العادة مع وقوعه وفق السنة الإلهية التي لا نعلم حدودها ولا نحكم عليها بما تجري به العادة في أمد هو على كل حال محدود.. فالتأثير ليس للأسباب بل للمسبب الصانع الحكيم سبحانه..

والذين يقيدون مشيئة الله بما يعرفونه هم من نواميسه لا يعرفون حقيقة الألوهية كما يقررها الله سبحانه في كتابه وقوله الفصل وليس للعقل البشري قول في ذلك القول، وحتى الذين يقيدون مشيئة الله بما يقرره الله تعالى أنه نموسه، لا يدركون حقيقة الألوهية كذلك.

فمشيئة الله سبحانه طليقة وراء ما قرره الله سبحانه من نواميس ولا تتقيد هذه المشيئة بالنواميس.. فالناموس يجري وينفذ بقدر من الله في كل مرة ينفذ فيها. فهو لا يجري ولا ينفذ آليا فإذا قدر الله في مرة أن يجري الناموس بصورة أخرى غير التي جرى بها في مرات سابقة كان ما قدّره الله ولم يقف الناموس في وجه هذا القدر الجديد، ذلك أن الناموس الذي تندرج تحته كل النواميس هو طلاقة المشيئة بلا قيد على الإطلاق وتحت الناموس في كل مرة يتحقق فيها بقدر خاص طليق..

وأيضا فإن الله سبحانه أجرى العادة البشرية أن بكر الأولاد أحب إلى الوالدين ممن بعده، وسيدنا إبراهيم عليه السلام لما سأل ربه الولد ووهبه له تعلقت شعبة من قلبه بمحبته، والله تعالى قد اتخذه خليلا، والخلّة منصب يقتضى توحيده المحبوب بالمحبة، وأن لا يشارك بينه وبين غيره فيها، فلما أخذ الولد شعبة من قلب الوالد جاءت غيرة الخلّة تنتزعها من قلب خليل الله عليه السلام فأمره بذبح المحبوب.. فلما أقدم على ذبحه، وكانت محبة الله أعظم من محبة الولد، خلصت الخلّة حينئذ من شوائب المشاركة، فلم يبقى في الذبح مصلحة، إذ كانت المصلحة إنما هي في العزم وتوطين النفس عليه فقد حصل المقصود فنسخ الأمر وفُدي الذبيح، وصدّق الخليل الرؤيا، وحصل مراد الرّب جل علاه.

فلا ريب أن الذبيح كان بمكة ولذلك جُعلت القرابين يوم النحر بها كما جعل السعي بين الصفا والمروة ورمي الجمار تذكيرا لشأن إسماعيل وأمه عليهما السلام وإقامة لذكر الله تعالى. ومعلوم إن إسماعيل وأمه هما اللذان كانا بمكة دون إسحاق وأمه، ولهذا اتصل مكان الذبح وزمانه بالبيت الحرام الذي اشترك في بنائه إبراهيم وإسماعيل وكان النحر بمكة من تمام حج البيت الذي كان على يد إبراهيم وابنه إسماعيل عليهما السلام، زمانا ومكانا ولو كان الذبح بالشام كما يزعم أهل الكتاب ومن تلقى عنهم، لكانت القرابين والنحر بالشام لا بمكة.

ومعلوم أن هذا الامتحان والاختبار إنما يكون قد حصل عند أول مولود، ولم يكن ليحصل في المولود الآخر دون الأول، بل لم يحصل عند المولود الآخر من عدم مزاحمة الخلة ما يقتضي الأمر بذبحه وهذا في غاية الظهور.

وأيضا فإن سارة امرأة الخليل صلى الله عليه وسلم غارت من جاريتها هاجر وابنها إسماعيل أشد الغيرة.. فإنها كانت جارية فلما ولد إسماعيل وأحبه أبوه اشتدت غيرة سارة فأمر الله سبحانه أن يبعد عنهما هاجر وابنها ويسكنها في أرض مكة، لتبرد عن سارة حرارة الغيرة. وهذا من رحمته تعالى ورأفته، فكيف يأمره سبحانه بعد هذا أن يذبح ابنها ويدع ابن الجارية بحاله؟ هذا مع رحمة الله لها وإبعاد الضرر عنها وجبره لها، بل حكمته البالغة اقتضت أن يأمر بذبح ولد الجارية هاجر فحينئذ يرق قلب السيدة عليها وعلى ولدها، وتتبدل قسوة الغيرة إلى رحمة، ويظهر لها بركة الجارية وولدها، وأن الله لا يضيع بيتا هذه وابنها منهم وليرى عباده جبره بعد الكسر ولطفه بعد الشدّة وأن عاقبة صبر هاجر وابنها على البعد والوحدة والغربة والتسليم إلى ذبح الولد، آلت إلى ما آلت إليه: من جعل آثارهما ومواطئ أقدامهما مناسك لعبادة المؤمنين، ومتعبدات لهم إلى يوم القيامة، وهذه سنته تعالى في من يريد رفعه من خلقه أن يمن عليه بعد استضعافه وذلّه وانكساره قال تعالى في سورة القصص: ﴿**ونريد أن نمنّ على الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين**﴾(5) وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم .

***في رحاب مولده صلى الله عليه وسلم**

واعلم أنه لا خلاف في كون ولادة الرسول الأعظم صلى الله عليه وسلم بجوف مكة المكرمة وأن مولده كان يوم الاثنين لاثنتي عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأول على أرجح الروايات وذلك عام

الفيل أي العام الذي حاول فيه أبرهة الأشرم غزو مكة وهدم الكعبة، فرده الله عن ذلك بالآية الباهرة التي وصفها القرآن في سورة الفيل.

وكان أمر الفيل تقدمة قدّمها الله لنبيه وبيته، وإلا فأصحاب الفيل كانوا نصارى أهل كتاب، وكان دينهم خيرا من دين أهل مكة إذ ذاك لأنهم كانوا عباد أوثان، فنصرهم الله على أهل الكتاب نصرا لا صنع للبشرية فيه، إرهاصا وتقدمة للنبي الكريم صلى الله عليه وسلم الذي خرج من مكة وتعظيما للبيت الحرام.

ومما يُروى أن آمنة بنت وهب أم رسول الله صلى الله عليه وسلم كانت تحدث أنها أُتيت حين حملت برسول الله صلى الله عليه وسلم فقيل لها: إنك قد حملت بسيد هذه الأمة فإذا وقع إلى الأرض، فقولي: " أعيذه بالواحد، من شرّ كل حاسد " ثم سميه محمدا ". ورأت حين حملت به أنه خرج منها نور رأت به قصور بصرى من أرض الشام. وعن حسان بن ثابت رضي الله عنه قال: " والله إني لغلام يفقه، ابن سبع سنين أو ثمان أعقل كل ما سمعت إذ سمعت يهوديا يصرخ بأعلى صوته على أطمة بيثرب: "يا معشر يهود! حتى إذا قالوا له: ويلك. مالك؟ قال: "طلع الليلة نجم أحمد الذي ولد به".

قال ابن إسحاق رحمه الله: فلمّا وضعته أمه آمنه عليها السلام أرسلت إلى جده عبد المطلب أنه قد ولد لك غلام فانظر إليه، فأتاه ونظر إليه وحدثته بما رأت حين حملت به وما قيل لها فيه وما أمرت أن تسميه. فيزعمون أن عبد المطلب أخذه فدخل به الكعبة، فقام يدعو الله ويتشكر له ما أعطاه، ثم خرج به إلى أمه فدفعه إليها. وولد صلى الله عليه وسلم معذورا (مختونا) مسرورا (مختوما مقطوع السرة) ووقع إلى الأرض مقبوضة أصابع يده مشيرا بالسباحة كالمسبح بها. وعن ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: "ولد النبي صلى الله عليه وسلم مسرورا مختونا. "

وبعدما دفع عبد المطلب المولود الزكي إلى أمه أخذ يلتمس لرسول الله المراضع فاسترضع له امرأة من بني سعد بن بكر يقال لها حليمة بنت أبي ذؤيب واسم أبيه من الرضاعة الحارث بن عبد العزى وإخوته في الرضاعة عبد الله بن الحارث وأنيسة وحذافة وهي الشيماء وكلهم لحليمة بنت أبي ذؤيب رضي الله عنها.

ولم تعرف العرب من تسمى باسم (محمد) قبل الرسول صلى الله عليه وسلم إلا ثلاثة، تمنى آباؤهم حين سمعوا بقرب بعث نبي في الحجاز اسمه محمد، أن يكون لهم، خاصة وأن كل واحد منهم قد خلف امرأته حاملا، فنذر كل منهم إن ولد له ذكر، أن يسميه محمدا، وهم: محمد بن سفيان بن مجاشع جد الفرزدق الشاعر، ومحمد بن أحيحة بن الحلاج بن الحريش، ومحمد بن حمران بن ربيعة. وفي اليوم السابع لمولد الرسول الكريم أمر عبد المطلب بجزور فنحرت، ودعا رجالا من قريش، فحضروا وطعموا. فلمّا علموا منه أنه سمى الطفل محمدا سألوه لما رغب عن أسماء آبائه فقال: " أردت أن يكون محمودا في السماء لله والأرض لخلقه ". وذكر ابن السكن من حديث عثمان بن أبي العاص عن أمه فاطمة بنت عبد الله رضي الله عنها أنها شهدت ولادة الرسول صلى الله عليه وسلم ليلا قالت: "فما شيء أنظر إليه إلا نور، وإني لأنظر إلى النجوم تدنو حتى أني لأقول لتقعن علي". وذكر ابن خيثمة عن أبي صالح السمان قال: قال كعب: "إنا لنجد في كتاب الله عز وجل: " محمد مولده بمكة ". وعن عبد الملك بن عمير قال: قال كعب أني أجد في التوراة عبدي أحمد المختار مولده بمكة.

وحكى أبو الربيع بن سالم أن بقي بن مخلد ذكر في تفسيره أن إبليس لعنه الله رنّ أربع رنّات رنّة حين لعن، ورنّة حين أهبط، ورنّة حين ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم ورنّة حين نزلت فاتحة الكتاب..

•الخوارق المصاحبة لمولده صلى الله عليه وسلم

ويوم ولادته صلى الله عليه وسلم أظهر الله بعض الخوارق إكراما للمولود العظيم وعبرة للأولي الأبصار فمما يُروى من مصادر موثوقة كالإمام ابن سيد الناس رحمه الله في كتابه "عيون الأثر" أنه لما كان ليلة ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم ارتجس إيوان كسرى ملك الفرس وسقطت منه أربع عشرة شرفة، وخمدت نار فارس ولم تخمد قبل ذلك بألف عام، وغاضت بحيرة سأوة، فما عمرت بعد هذا الغيض أبدا وحواليها بيع وكنائس ورأى الموبذان (قاضي القضاة بالفرس) إبلا صعابا تقود خيلا عرابا قد قطعت دجلة وانتشرت في بلادها. فلما أصبح كسرى أفزعه ذلك، فصبر عليه تشجعا ثم رأى أن لا يدخر ذلك عن مرازبته. فجمعهم ولبس تاجه وجلس على سريره، ثم بعث إليهم فلما اجتمعوا عنده قال: تدرون فيما بعثت إليكم؟ قالوا لا، إلا أن يخبرنا الملك. فبينما هم كذلك إذ ورد

عليهم كتاب بخمود النيران فازداد غمّا إلى غمه. ثم أخبرهم ما رأى وما هاله. فقال الموبذان: "وأنا أصلح الله الملك، قد رأيت في هذه الليلة رؤيا " ثم قص عليه رؤياه في الإبل فقال: "أي شيء يكون هذا يا موبذان؟ قال: "حدث يكون في ناحية العرب". وكان أعلمهم في أنفسهم، فكتب عند ذلك: "من كسرى ملك الملوك إلى النعمان بن المنذر، أما بعد، فوجه إلي برجل عالم بما أريد أن أسأله عنه". فوجه إليه بعبد المسيح بن عمرو بن حيان بن بعيلة الغساني.. فلما ورد عليه قال له: "ألك علم بما أريد أن أسألك عنه؟" قال: "ليخبرني الملك أو ليسألني عمّا أحب، فإن كان عندي منه علم وإلا أخبرته بمن يعلمه." فأخبره بالذي وجه إليه فيه. قال:" علم ذلك عند خال لي يسكن مشارف الشام يقال له سطيح ". قال: " فأته فاسأله عما سألتك عنه ثم ائتني بتفسيره". فخرج عبد المسيح حتى انتهى إلى سطيح وقد أشفى على الضريح، فسلم عليه وكلمه فلم يرد عليه سطيح جوابا فأنشأ يقول: " أصم أم يسمع غطريف اليمن " في أبيات ذكرها. قال فلمّا سمع سطيح شعره رفع رأسه يقول: " عبد المسيح على جمل مشيح إلى سطيح وقد أشفى على الضريح، بعثك ملك بني ساسان لارتجاس الإيوان وخمود النيران ورؤيا الموبذان، رأى ابل صعابا تقود خيلا عرابا قد قطعت دجلة وانتشرت في بلادها، يا عبد المسيح إذا كثرت التلاوة وظهر صاحب الهراوة وفاض وادي السماوة، وغاضت بحيرة سأوة، وخمدت نار فارس فليس الشام لسطيح شاما، يملك منهم ملوك وملكات على عدد الشرفات وكل ما هو آت آت ".

فلما قدم عبد المسيح على كسرى أخبره بما قاله سطيح فقال كسرى: " إلى أن يملك منا أربعة عشر ملكا كانت أمور وأمور". فملك منهم عشرة في أربع سنين وملك الباقون إلى خلافة عثمان رضي الله عنه ومن هذه الخوارق أن الجن تصيح وترجف مما حصل لهم من الخوف والرهب ويتكلمون مع أوليائهم فيما دهمهم من ذلك، والأنوار التي ظهرت يوم مولده صلى الله عليه وسلم مرتفعة في الآفاق والبرهان الحق يظهر من المعاني التي آتت بها الكتب المنزلة ومن الكلام الذي نطقت به ألسنة الأحبار والرهبان ولكن عموا، فلم يبصروا بارقة الإنذار وصموا فلم يسمعوا إعلان البشائر من بعد إخبار الكهان لهم بأن دينهم المعوج لا يدوم ولا يستقيم، ومن بعد الذي عاينوه من شعل النار النازلة من السماء على الشياطين المسترقين السمع على وفق تنكيس الأصنام التي في الأرض إلى أن ذهب كل شيطان هارب عن أبواب السماء وصار يتبع أثر شيطان هارب مثله... وعن هذه الخوارق يقول الإمام محمد البوصيري رحمه الله في البردة:

أبان مولده عن طيب عنصره يا طيب مبتدأ منه ومختتم
يوم تفرس فيه الفرس أنهم قد أنذروا بحلول البؤس والنقم
وبات إيوان كسرى وهو منصدع كشمل أصحاب كسرى غير ملتئم
والنار خامدة الأنفاس من أسف عليه والنهر ساهي العين من سدم
وساء سأوة أن غاضت بحيرتها ورد واردها بالغيظ حين ظمي
كأن بالنار ما بالماء من بلل حزنا وبالماء ما بالنار من ضرم
والجن تهتف والأنوار ساطعة والحق يظهر من معنى ومن كلم
عموا وصموا فإعلان البشائر لم تسمع وبارقة الإنذار لم تشم
من بعد ما أخبر الأقوام كاهنهم بأن دينهم المعوج لم يقم
وبعدما عاينوا في الأفق من شهب منقضة وفق ما في الأرض من صنم
حتى غدا عن طريق الوحي منهزم من الشياطين يقفو إثر منهزم
كأنهم هربا أبطال أبرهة أو عسكر بالحصى من راحتيه رُم
نبذا به بعد تسبيح ببطنهما نبذ المسبّح من أحشاء ملتقم."

***كيف الاحتفال بذكرى مولد خير الأنام سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام**

أظهر الله سبحانه وتعالى خوارق باهرة إيذانا منه تعالى بإقبال خاتم الأنبياء وإمام المرسلين، نعم من قبل ولادته كان حادث الفيل والذي يعني أن القدرة الإلهية تدخلت سافرة لتدفع عن بيت الله الحرام ولم تترك حمايته للمشركين حتى لا يكون لهم يد على بيته ولا سابقة في حمايته بحميتهم الجاهلية. ونحن نستبشر بإيحاء هذه الدلالة اليوم ونطمئن إزاء ما نعلمه من أطماع فاجرة ماكرة ترف حول الأماكن المقدسة من الصليبية العالمية والصهيونية العالمية، ولا تني أو تهدأ في التمهيد الخفي اللئيم لهذه الأطماع الفاجرة الماكرة. فالله الذي حمى بيته من أهل الكتاب، وسدنته مشركون، سيحفظه إن شاء الله ويحفظ مدينة رسوله صلى الله عليه وسلم من كيد الكائدين ومكر الماكرين.

إن مولد رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إيذانا من الله تبارك وتعالى بإقبال خاتم الأنبياء وإمام المرسلين سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ولا شك أن الذكرى تنفع المؤمنين ونحن في حاجة إلى أن نتذكر كل شيء يتعلق برسول الله صلى الله عليه وسلم لأنه القدوة الحسنة لكل مسلم بمقتضى

قوله تعالى: ﴿ **لقد كان لكم في رسول الله إسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا**﴾(سورة الأحزاب الآية/ 21).

وقراءة سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم بتدبر واعتبار تدفع المؤمن إلى الاهتداء بسنته والسير على طريقته، ولكن الاحتفال بذكرى ليلة المولد النبوي أمر لم يكن معروفا في صدر الإسلام، وأول من بدأه هم الفاطميون في القرن الرابع الهجري في مصر وغيرها. ويقال أن أول من فعل هذا في مدينة الموصل بالعراق هو الشيخ عمر ابن محمد الملاّ أحد الصالحين، ثم اقتدى به في مدينة إربل بالعراق الملك المظفر أبو سعيد حيث ألف له الحافظ ابن دحية كتابا في قصة المولد سماه: " التنوير في مولد البشير النذير " فأجازه بألف دينار.

وقد علق الإمام أبو شامة على ذلك بقوله: " ومن أحسن ما ابتدع في زماننا ما كان يُفعل بمدينة إربل كل عام في اليوم الموافق ليوم مولد النبي صلى الله عليه وسلم من الصدقات والمعروف وإظهار الزينة والسرور. فإن ذلك مع ما فيه من الإحسان إلى الفقراء، مُشعرٌ بمحبة النبي صلى الله عليه وآله وسلم وبعظمه وجلاله في قلب فاعله وشكر الله تعالى على ما منّ به من إيجاد رسوله الذي أرسله رحمة للعالمين، صلى الله عليه وعلى جميع المرسلين ".

فهذه سنة حسنة ولمن سنها أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة كما جاء في الحديث النبوي الشريف. فلا غضاضة أبدا في أن يَعنَى بها المسلمون وأن يجتمعوا عليها بشرط أن يكون احتفالهم بهذه الذكرى غير خارج عن حدود شرع الله الحنيف. وخير ما يكون في هذا الاحتفال هو تدارس حياة النبي الكريم وتفهم العبر والعظات التي تحويها هذه الحياة ثم السير على منهاج هذا الدين العظيم. ألا ترى أن الإمام ابن مرزوق رحمه الله صرح في كتابه "جنا الجنتين في فضل الليلتين" بإيثار ليلة مولد الرسول صلى الله عليه وسلم على ليلة القدر، واحتج بإحدى وعشرين وجها.

أما مدح الرسول صلى الله عليه وسلم بما هو أهله فهذا شيء ليس مباحا فقط بل هو واجب على كل مسلم لأن الله تبارك وتعالى يقول: ﴿**إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما**﴾ (الأحزاب / 56) وصلاتنا على الرسول تتضمن مدحا له وثناء عليه وطلبا للمزيد من تكريمه عند الله عزّ وجلّ. وإلى هذا يشير الإمام البوصيري رحمه الله بقوله:

دع ما ادعته النصارى في نبيهم واحكم بما شئت مدحا فيه واحتكم
وانسب إلى ذاته ما شئت من شرف وانسب إلى قدره ما شئت من عظم
فإن فضل رسول الله ليس له حد فيعرب عنه ناطق بفم

إن الاحتفال بذكرى مولد سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم يعيد أيضا إلى الأذهان مسيرة رسول الهدى الذي استطاع بجهاده وأخلاقه ودعوته أن يجمع قبائل متناحرة متشتتة ويجعل منها بإذن الله خير أمة أُخرجت للناس تعلي راية الحق وتدفع قوافل الشهداء لتحطيم عروش الباطل والاستبداد.

وفي هذا السياق قال الإمام عبد الحميد بن باديس رحمه الله في إحدى ذكريات المولد النبوي الشريف: "أيها المسلمون في مثل هذا اليوم انبثق النور الذي هداكم الله به إلى الإسلام، فأخرجكم من الظلمات إلى النور وجعلكم خير أمة أخرجت للناس ما دمتم تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله. فعودوا إلى حياة النبي الكريم فاستمدوا منها نور إيمانكم وجددوا بها صرح توحيدكم وحصنوا بها قلوبكم من جهالات الغفلة وظلمات الشرك ونزغات الشيطان". ولكن الواجب في الاحتفال بهذه الذكرى الجليلة أن يكون الاحتفال خاليا من المنكرات والسيئات ومما تعوده كثير من الناس في هذه المناسبة من بدع لا يرضاها الله تبارك وتعالى ولا يرضاها رسوله صلى الله عليه وسلم. وخير ما يكون في هذا الاحتفال هو تدارس حياة النبي الكريم وتفهم العبر والعظات التي تحويها هذه الحياة النبوية ثم السير على منهاج هذا الدين العظيم الذي جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم والذي يقول فيه رب العزة جل علاه في سورة المائدة: ﴿ **قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات إلى النور بإذنه ويهديهم إلى صراط مستقيم**﴾(15-16).

ألا فليحتفل المسلمون في مشارق الأرض ومغاربها بذكريات رسول الله صلى الله عليه وسلم في حدود الدرس والعبرة وليكن احتفالهم مفتاحا إلى العمل بسنة الرسول المطهرة والاهتداء به، وعامل وحدتهم وتوحيد صفوفهم وسهما قاتلا في ذات عدوهم اللعين ودرعا متينا يقي مقدساتهم من نيل الغاصبين وينير لهم سبل المحبة بينهم والوحدة والسلام وتطهر القلوب من كل الضغائن والأحقاد.